مجلة جامعة الملك سعود، م١٨، الآداب (٢)، ص ٣٣١ - ٣٦٤ (١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م)

العناصر المعمارية لأهم قلاع الأردن العثمانية

وائل منير رشدان

قسم الآثار والمتاحف، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض

(قدم للنشر في ١٤٢٥/٢/١٥هـ، وقبل للنشر في ١٤٢٥/٩/٥هـ)

ملخص البحث. لقد أبدى العثمانيون اهتماماً كبيراً ببناء القلاع لحماية طريق الحج الشامي وتوفير الحماية للحجاج وسبل الراحة لهم اثناء رحلتهم، وكانت هذه القلاع تقوم بعده وظائف إضافية مثل مراقبة القبائل البدوية المتواجدة في تلك المناطق وحماية الخط الحديدي الحجازي.

وفي هذا البحث تمت دراسة العناصر المعمارية المشتركة لهذه القلاع من حيث التخطيط المعماري وأهم العناصر المعمارية المستخدمة في البناء ومدى تطورها علماً بأن معظمها متأثراً بالعناصر المعمارية المحلية. والملاحظ أن العناصر المعمارية المدنية والعسكرية المستخدمة قد ظهرت منسجمة ومتوافقة مع بعضها البعض في عمارة القلاع العثمانية.

المقدمـــــة

يمتاز الموقع الإستراتيجي للمملكة الأردنية الهاشمية بأهمية خاصة إذ يعتبر ممراً حيوياً أو همزة الوصل فيما بين الشمال والجنوب سوريا وتركيا والديار المقدسة في الحجاز،

وكذلك فيما بين الشرق والغرب العراق وفلسطين سواء كان ذلك للوصول إلى العتبات المقدسة في العراق أو إلى الحرم القدسي الشريف، لكل هذا أولى السلاطين العثمانيين اهتمامًا كبيرًا للمنطقة؛ وذلك للمحافظة على الطرق التجارية وتأمين الحماية لطريق الحج الشامي على أن الاهتمام العثماني انصب على بناء القلاع وبناء الخط الحديدي في الحجاز الذي كان يربط بين تركيا والديار المقدسة في الحجاز، كما أنهم عمدوا إلى بناء هذا الخط بالقرب من هذه القلاع والحصون، وذلك لتأمين الحماية لها[1] (خارطة ١).

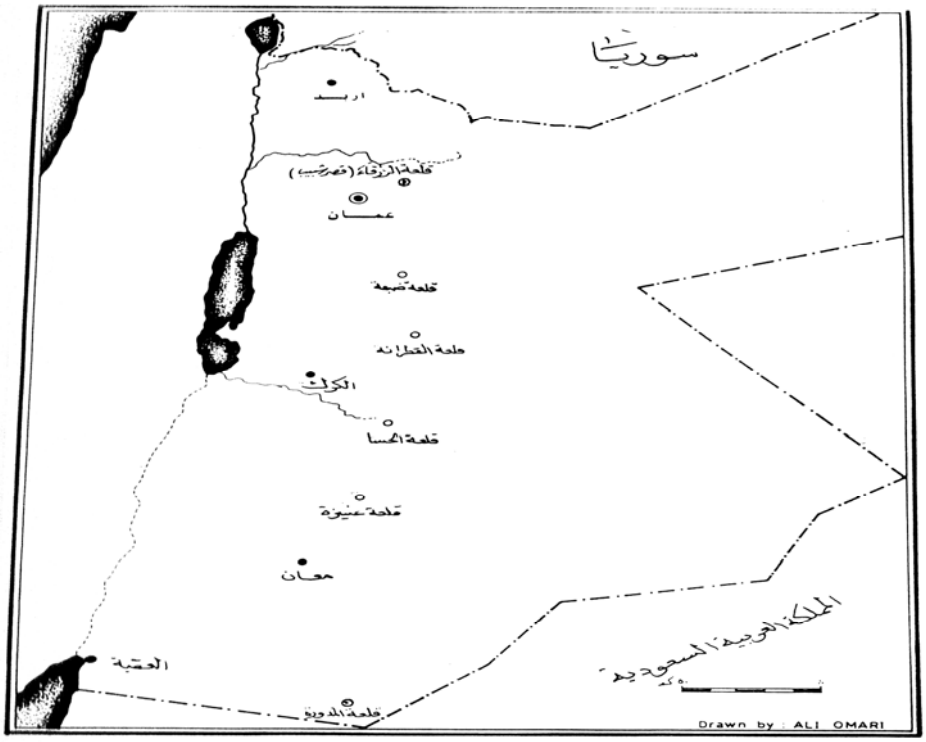

خارطة المملكة الأردنية الهاشمية (مواقع القلاع العثمانية).

(١) ابن طولون، شمس الدين، محمد: مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، (تاريخ مصر والشام)، ج١، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ١٩٦٢م، ص٣٧٩.

تناولت بعض الدراسات الحديثة بعضًا من هذه المواقع مثال Petersen[٢] وعبيدات[٣] ، ولكن لا نتفق مع هذين الباحثين في بعض النقاط ؛ وذلك لأن دراستهم لم تشتمل على كل القلاع العثمانية ولم يتناولوا هذا الموضوع بشكلٍ مفصلٍ، ولهذا ارتأيت أن أقوم بهذه الدراسة وإضافة ما تم إغفاله أو تعديل ما قد جاء في هذه الأوراق السابقة الذكر اللتين ربما اعتمد أحدهما على الآخر في دراسته، وكذلك اعتمادها على دراسة بعض الرحالة والمستشرقين الذين لم يعمدوا إلى دراستها بتعمق وتحليل، فقد قاموا بدراسة هذه القلاع ووصفها وصفًا غير دقيق أو موجز ؛ ومع الأمثلة على ما تم وصفه بشكل غير دقيق أمثلة عديدة لا تتوافق مع الواقع الحالي أو مع الدراسات أو الإشارات التي أشارت ربما إلى الترميم الذي حصل على هذه القلاع في الفترات التاريخية المختلفة ؛ لأن بعضًا من هذه القلاع تعود إلى فترات أقدم من العصر العثماني وربما أدخل عليها العثمانيون تعديلات أو ترميمات تناسب وظيفتها وطبيعة المنطقة المحيطة بهذه القلاع، [٤] أو إضافة بعض المباني لما تستلزمه الظروف التي أدت إلى بناء أو إعادة الاستخدام أو ترميم هذه القلاع. وتتلخص أسباب بناء وإعادة استخدام هذه القلاع إلى عدة أسباب مهمة منها :

١- لقد بنيت هذه القلاع كمراكز لحماية درب الحج الشامي والقوافل التجارية من غارات قطاع الطرق التي كانت تعيث فساداً في المنطقة ولذلك تطلب الأمر وجود جزء

---

(٢) Petersen, A. D. Early Ottoman, Hajj Forts I Jordan. Un Published, m, Ph, thesis, Oxford University. 1986; Early Ottoman Forts on Darb Al-Hajj. Levent, vot xxl, 1989. P. 99.

(٣) عبيدات، إسلام، الخانات الإسلامية خلال الفترة العثمانية في جنوب الأردن. رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الآثار والأنثروبولوجيا – جامعة اليرموك، إربد، ١٩٩٨م.

(٤) الحمود، نوفان، العسكر في بلاد الشام في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، ط١، بيروت، دار الأفاق الجديدة، ١٩٨١م، ص ص ٤٧- ٥٣..

من الحامية العثمانية في هذه القلاع.[٥] ولقد أفادت المصادر أن العثمانيون كانوا يدفعون لبعض القبائل مبلغًا معلوماً للعمل مع الحاميات العثمانية على حماية الحجيج من غارات قطاع الطريق.

٢ - أن هذه القلاع كانت عبارة عن مراكز لمراقبة تحركات القبائل العربية التي كانت تقيم في هذه المنطقة.

٣ - لقد تم بناء هذه القلاع من أجل حماية مصادر المياه التي كانت تعتبر شريان الحياة لهذه المنطقة والتي كانت تفتقر للمياه ولذلك بنيت بجوار هذه القلاع البرك الكبيرة لتجميع المياه التي تهطل في فصل الشتاء ولهذا أوجدوا القنوات والمزاريب التي تعمد إلى تجميع هذه المياه اللازمة لفصل الصيف للقوافل التجارية أو لقوافل الحجيج، وعند تنفيذ الخط الحديدي الحجازي حديثًا روعي إنشاء محطات لتزويد القطارات بالمياه اللازمة التي كانت تستخدم القطارات البخارية آنذاك،[٦] ونتيجة للحاجة الملحة لهذه المياه وجدت الحاميات لحماية القلعة التي كان دورها ضروريًا لحماية المياه وخاصة من القبائل التي كانت تسكن المنطقة والتي كانت بحاجة ماسة لتزود بالمياه اللازمة للشرب ولسقاية قطعان ماشيتهم.

---

(٥) الغزي، نجم الدين بن محمد (ت ٩٦١هـ/١٦٥٠م)، الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة، ج٣، تحقيق: جبرائيل، بيروت، ١٩٤٥م، إعادة تصوير بالأوفست، بيروت، ١٩٧٩م، ص١٥٧، ابن خلدون، ١٩٦٢، ٣٧٩.

Barbir, K. Ottoman Rule in Damascus, 1708-1658 Priinceton University New-Jew-Jersey, 1980. P. 175.

(٦) Doughty, C.N. Travels in Arabia Deserta. London 1926. P. 9; petersen, A.D. Earley Ottoman Forts on Darb Al-Hajj-Levent, vol xxl, 1989. P.99.

٤ - وكذلك لعبت هذه القلاع في مواسم الحج دورًا كبيرًا كأسواق تجارية لبيع وشراء البضائع للحجاج أو إلى القبائل البدوية الموجودة في المنطقة.(٧)

٥ - أنها كانت تستخدم كمراكز لجباية الضرائب في المواسم المعلومة والتي كانت تفرضها على القبائل العربية التي كانت تقطن هذه المنطقة والمناطق المجاورة لها.

المخطط العام : (انظر الجدول رقم : ١)

إن تخطيط هذه القلاع ذات تخطيط هندسي مربع أو مستطيل المسقط وإن كان هناك فرقًا قليلاً يبلغ (٠.٥م) أو (٠.٨٥م) من حيث الطول أو العرض (أشكال: ٢، ١ أ، ٢ ب، ٣أ، ٣ب، ٤، ٥أ، ٥ب، ٦). أما القلاع التي تتبع هذا التخطيط هي قلعة ضبعة ومعان والمدورة أما بالبقية فهناك فروقات قليلة كما أشرنا إليه سابقًا، أما قلعة القطرانة فهي مستطيلة المسقط وهذه القلاع يتوسطها فناء مكشوف تحيط به الغرف والقاعات والأيوانات وكذلك الأدراج التي تصعد إلى الطوابق العلوية.(٨)

وهنا يجب أن ننوه إلى أن بعض هذه القلاع قد أقيمت أو رممت على أنقاض قلاع سابقة.

---

(٧) عبيدات، إسلام ١٩٩٨، ص ٨.

(٨) Peterson A. D. 1989, P.100.

الجدول رقم١. المخطط العام.

القلعة	المساحة	البئر	مصادر تخزين المياه	أبراج	مباني أخرى	السقاطات	التاريخ	مواد البناء
ضبعة	٢٥م×٢٥م	١	٢	٤	-	-	قبل العثماني؟؟	حجارة كلسية + الصوانية
القطرانة	٢٢,٢م×١٧,٣٥م	-	٢	-	سد + منشآت مائية أخرى	٤	١٥٢٠/١٥٦٦م	حجارة كلسية وبازلت
الحسا	٢٤,٢م×٢٤,٧م	١	١	-	سد وطريق وجسر	٢	١٧٥٧/١٧٧٤م	حجارة كلسية
عنيزة	٢٨×٢٨,٨٥م	١	١	-	-	١	١٥٧٦م	بازلت
معان	٢٣,٦٠م×٢٠,٧٠م	-	١	-	قنوات	١	٩٧١/١٥٦٣م	حجارة كلسية، حجارة مبسطة
المدورة	١٩م×١٩م	-	٣	-	طريق تمتد ٥٠٠م	٤	١٧٣٠/١٧٣٣م	حجارة رملية

المداخل: (شكل٧ا،٧ب)

عبارة عن مداخل معقودة بعدة أنواع من العقود (نصف دائري، مدبب) وهذه المداخل تتكون من فتحة الدخول وهي مستطيلة الشكل ومرتدة إلى الداخل يعلوها عتب وبعضها يحتوي على عاتق أو عتب مزرر تقوم على عضاتين جانبيتين وأبواب هذه المداخل تتكون من درفتين مصنوعتين من الخشب وبعض المسامير الحد يدية او درفة واحدة.

وتمتاز هذه المداخل بقلة ارتفاعها وتقع المداخل بوجه عام في الواجهة الأمامية للقلاع والتي تفتح بدورها على الجهة الشرقية أو الشمالية الغربية. وهذه المداخل مفردة حيث لا توجد أية مداخل أخرى للقلاع إلا في قلعة معان فيوجد بها مدخلان: واحد في الجهة الشمالية والآخر في الجهة الجنوبية.وقد أقاموا فوق هذه المداخل السقاطات الكبيرة وذلك لزيادة الحماية ورد الاعتداءات على هذه القلاع. أما اتساع فتحات هذه المداخل فهي متفاوتة وقد زينت المداخل بالحليات الحجرية من كورنيش محفور بعناصر زخرفية نباتية أو على أشكال هندسية.

البهو المؤدي إلى الفناء المكشوف

والمقصود هنا الممر المؤدي من المدخل الرئيسي إلى داخل الفناء المكشوف وفي أغلب الأحيان غطى هذا الممر بسقف على شكل قبو برميلي أو أقبية متقاطعة كما هو موجود في قلعة القطرانة.

وقد تميز كتلة المدخل من الداخل بوجود غرفتين على جانبي الممر أطوالها (٧م×٤,٣٠م) وقد سقفت هاتان الغرفتان بقبو برميلي، وكذلك يوجد في بهو المدخل مكسلتين حجريتين ارتفاع الواحد منها (٠,٨٠م) بعرض (٠,٦٠م) وطول (١,٢٠م)، كما هو واضح في قلعة ضبعة والحسا فهو عبارة عن ممر طولي مغطى بقبو برميلي ارتفاعه (٢,٥٠م) وكذلك نجد بهو المدخل لقلعة عنيزة عبارة عن طوله (٦,١٥م) وعرضه (١,٧٥م)، أما في قلعة القطرانة فنجد أن المدخل اتخذ شكل المدخل منكسر يتكون من غرفة أطوالها (٣,٣٠×٢,٨٥م) مغطى بقبو متقاطع وفي الجهة الشمالية يفتح على ممر مستطيل مغطى بقبو برميلي ويطل على الفناء المفتوح بعقد نصف دائري.

الأبراج

لا توجد أبراج بارزة عن سمت الجدران إلا في قلعة ضبعة حيث تكتنف هذه الأبراج الزوايا الأربعة للقلعة. ويبلغ أبعاد بعض هذه الأبراج (٣م× ٣م) وواحد فقط أكبر من هؤلاء الثلاث حيث يبلغ أبعاده (٤م) وهو الذي يقع في الزاوية الجنوبية الغربية، وتتكون ٠هذه الأبراج من طابقين يربطهما درج صغير وتغطي هذه الأبراج بأبنية نصف برميلية أبعاده (٢,٣٠م × ٠,٧٠م) البرج الذي يقع في الزاوية الشمالية الغربية من القلعة، ويعتبر أهم الأبراج التي لا زالت واضحة المعالم، ونجد أن هذه الأبراج يبلغ ارتفاعها حوالي (٧,٦٥م) وهو يساوي ارتفاع جدران القلعة الخارجية وتبرز هذه الأبراج عن سمت الجدران الرئيسة للقلعة حوالي (٢,٥٠م)، والملاحظ أن الارتفاع الحالي للأبراج متفاوت ؛ نتيجة للهدم والدمار الذي لحق بهذه القلاع.

الشرافات

تعتبر من العناصر المعمارية التجميلية والوظيفية فهي تحتل مكانًا يعلو الجدران الرئيسة للقلاع وهذه الشرافات كانت تستخدم للهجوم على الأعداء حيث كان المدافعون يشرفون ويطلقون السهم من بينها على المهاجمين، وتمتاز هذه الشرافات بأنها ليست عالية كمثيلاتها في العمائر الإسلامية.

ومن أهم القلاع التي وجدت فيها الشرافات قلعة القطرانة، ضبعة. وهذه الشرافات تمتاز ببساطة الشكل فهي تتراوح فيما بين الشكل المخروطي القائم على الحجارة ويظهر ذلك جليًا في قلعة القطرانة، وفي كل واجهة ٢٨ كتلة مخروطية من الحجارة، وهي تعلو الواجهات الرئيسة للقلعة. ومن حجارة بيضاوية، كما في قلعة ضبعة، واستخدام الحجارة الكلسية في البناء والحجارة الغشيمة والطين.

لا يوجد في هذه القلاع مساجد مستقلة ولكن نجد أنه اتخذ من إحدى الغرف أو القاعات مسجدٌ صغيرٌ ولم يتم العثور إلا في كلاً من قلعتي معان والحسا.

فالمسجد في قلعة معان يتكون من غرفة صغيرة في الطابق الثاني مساحتها ٣×٣ وفي الجدار الجنوبي لهذه الغرفة محراب صغير مجوف في سنت جدار القبلة والمسجد مغطى بسقف برميلي، أما جدران المسجد الداخلية فمبنية من الحجارة المغطاة بالملاط، وجاءت أرضية المسجد مرصوفة بالحجارة الجيرية، وقد تم ترميم هذا المسجد والقلعة من قبل دائرة الآثار وبلدية معان في عام ١٩٩٣م.

أما المسجد في قلعة الحسا فهو عبارة عن قاعة صغيرة مطلة على الفناء الرئيسي للقلعة ويبلغ طول ضلعه (٣.٦٥م) وعرضه (٢.٨٠م) وأرضية هذا المسجد مرصوفة بالحجارة الكلسية وفي الجدار الجنوبي محراب صغير مجوف في سمت جدار القبلة وسقف المسجد مغطى أو مسقوف بقبو برميلي والجدران مغطاة بالملاط، المكون من الحجارة الصغيرة والكلس المطفى والطبقة الأخيرة مكونة من الكلس.(٩)

الغرف: (شكل:٨) (انظر الجدول رقم ٢، ٣)

التصميم الفراغي الداخلي للقلاع ينقسم إلى قسمين:

١ - الفناء المكشوف.

٢ - الغرف والأيونات.

تنوعت الغرف في هذه القلاع من الغرف المربعة والمستطيلة والتي على شكل (L). وقد توزعت هذه الغرف أو الأيونات على الجهات المطلة على الفناء المكشوف وقد تعددت وظائف هذه الغرف منها للإقامة ومنها غرف مخصصة للتخزين حيث نجد أن الطابق أو الأرضي كانت مخصصة للتخزين أو أنها كانت تستخدم كإسطبلات كما في قلعة عنيزة. أما غرف الطابق الأول فقد كانت مخصصة للإقامة.

---

(٩) Peterson A. D. 1989, P.114.

وتمتاز الغرف بأنها مربعة وأحيانًا مستطيلة كما توجد بعض الغرف التي تمتاز بأنها على شكل (L) وهذه الغرف وجدت في زوايا قلعة عنيزة.

وقد تم استخدام بعض الغرف أو القاعات كإسطبلات كما في قلعة الحسا في الجهة الجنوبية للقلعة قاعة كبيرة مبنية على طول هذه الجهة بقاعة طويلة مغطاة بقبو برميلي طولي. وتعد هذه القاعة أكبر القاعات في القلاع العثمانية في الأردن تم العثور في هذا الإسطبل على العديد من الفتحات التي كانت تعد لربط الحيوانات وكذلك استخدام بعض الأحواض التي كانت يوضع فيها الأعلاف الخاصة بالحيوانات من تبن أو شعير أو غيرها من مواد التغذية.

جدول رقم (٢). غرف الطابق الأول (الأرضي)

القلعة	/	مربعة	مستطيلة	على شكل حرف L
ضبعة	١	-	٧	
القطرانة		٢	٦	
الحسا		٢	٧	
عنيزة		١١	٥	١
المدورة		-	٩	

جدول رقم (٣). غرف الطابق الثاني

القلعة	مربعة	مستطيلة
ضبعة	غير واضحة المعالم	
القطرانة	٤	٤
الحسا	٦	١
عنيزة	غير واضحة المعالم	
المدورة	-	٩

السقاطات: (شكل:٩)

هي بناء معماري بارز عن سنت جدران القلعة أو أسوارها تحمله كوابيل حجرية بارزة وتحتوي على مزاغل لرشق السهام من الأمام، وعلى فتحات من الأسفل تسمح بإلقاء القذائف أو السوائل المغلية.

نجد وجود السقاطات في المداخل الرئيسة للقلاع ففي قلعة القطرانة نجد أن السقاطات توجد في منتصف كل واجهة من الواجهات الأربعة وطول السقاطة الرئيسة (٢,٢٠م × ١,٧٠م) وفي وسطها فتحة مزغل طوله (١,٣٠م × ٠,٦٠م)، ونلاحظ ذلك واضحاً في الواجهة الرئيسة (الجنوبية الشرقية) وكذلك الواجهات الأخرى الواجهة الشرقية الشمالية ولكن نجد أنها تختلف في التصميم أما الواجهة الشمالية الغربية والواجهة الغربية الجنوبية. فشكل السقاطات الجانبية تتخذ شكلاً مستطيلاً مرتكزاً على ثلاثة كوابل حجرية وذات سقف على شكل قمة مخروطية ومتوسط أبعاد هذه السقاطات (١,٥٠م × ٤,٥م × و١,٤٧م) طولاً (×١,٠٥م) عرضاً وتضم في منتصفها مزاغل لرمي السهام يبلغ طولها (٢م × ١م). مزاغل الواجهة الرئيسية (٠,٦٠م) طولاً و (٠,٥٥م) عرضاً.. السقاطات في قلعة الحسا هي عبارة عن فتحات صغيرة مستطيلة الشكل (٠,٥٠م طولاً × ٠,٢٠ عرضاً).[١٠]

هناك ربما كان سقاطة في الواجهة الجنوبية وهي متهدمة حالياً وتشبه إلى حد كبير الشباك وأبعاده (١,٨٥م × ١,٣٥م).

---

(١٠) Peterson A. D. 1989, P.105-109.

المزاغل : (شكل : ١٠)

ومزاغل الواجهة فأطوالها (١,٢٠م × ٠,٥٥م) وهناك نوعٌ آخر في مزاغل الواجهة أصغر حجمًا من الأولى وهي (٠,٦٠م × ٠,٥٠م) وترتفع من سطح الأرض ١,٦٥م ويبلغ عددها ستة مزاغل. أما مزاغل الواجهات الأخرى فقياساتها (٠,٦٠م طولاً × ٠,٥٥م عرضاً).

أما في قلعة الحسا فنجد أن الواجهة الرئيسة متهدمة تماماً، ولا توجد أية سقاطات سوى الواجهة الغربية، حيث تتخذ السقاطة شكلاً مستطيلاً يقوم على ثلاثة كوابل حجرية قياساتها (١,٣٠م × ١,٧٥م) وأبعاد هذه الكوابل (٠,٥٠م × ٠,٤٠م) وهي كما تبدو أنها تعرضت للهدم حيث لا نجد هناك أية آثار للمزاغل فيها، وهناك فتحات مستطيلة الشكل (٠,٤٥م × ٠,٢٠م) وترتفع عن سطح الأرض (٣,٧٥م) أما السقاطات فترتفع عن الأرض (٣,٥٠م).

البرك: (شكل:١١)

نتيجة للظروف الجوية التي تمتاز بالجفاف في فصل الصيف حرص المعمار على إنشاء البرك لتجميع مياه فصل الشتاء بالقرب من هذه القلاع وقد أوضحنا سابقًا أسباب هذا الاهتمام ببناء البرك. ونتيجة للدراسة المقارنة نجد أن قلعة ضبعة والقطرانة تمتاز كل منهما بشكل عام بنظام البرك، فهناك البركة الكبيرة المستطيلة الشكل مثل قلعة ضبعة حيث تبلغ أطوالها (٢٠,٧٥م طولاً × ١٢,٢٥م عرضاً) أما القطرانة فهي مربعة الشكل طول ضلعيها (٦٩,٥م).

أما البركة الصغيرة فنجدها في قلعة ضبعة تبلغ أطوالها (٩,٢٥م طولاً × ٩,٠٥م عرضًا). أما القطرانة تبلغ أطوالها (٣٥,٥ طولاً × ٩,١٠م عرضًا) وتتصل البركة الكبيرة

مع البركة الصغيرة بواسطة قناة. والبركة الصغيرة تعمل عمل المصفاة لتصفية المياه الموجودة في البركة من الأتربة والأوحال. وهناك قناة أيضًا تصل البركة الصغيرة مع القلعة.

أما قلعة الحسا وقلعة عنيزة فلهما بركة واحدة وهي مربعة الشكل أطوالها تتراوح فيما بين (٥٦ × ١٠ أمتار) أما عمق هذه البرك فهي تتراوح فيما بين (٤م و ٣م) وهنا يجب الملاحظة أن هذه البرك مملوءة بالحجارة والطين وكان يوجد لكل بركة من هذه البرك درج ينزل إليها من جوانب هذه البرك وقد غطيت جدران البرك الداخلية بالملاط. وقد لوحظ في قلعة ضبعة وجود عوارض حجرية كانت تستخدم كمقياس للمياه الموجودة في البركة. وكذلك نجد أن المواطنين قد استفادوا من هذه البركة وقاموا بسقفها للاستفادة من هذه البركة لسقي الماشية.

الأرضيات:

لقد استخدم المعمار التقنيات المعروفة في المنطقة من استخدام الأحجار الجيرية المستخدمة وإضافة الملاط إليها للتماسك مع بعضها البعض وكذلك تم استخدام بعض القطع الصغيرة من الحجارة الجيرية والبازلتية أو الصوانية وإضافة الملاط. وفي بعض الأحيان يتم إضافة طبقة من الملاط فوق هذه الحجارة من أجل الحصول على أرضية قوية.

الآبار:

لقد لوحظ أن كل قلعة من هذه القلاع تحوي على آبار متعددة تقع في الفناء المكشوف ولكل بئر من الآبار فتحة تكون مستطيلة أو دائرية أو مثمنة وهنا يجب أن نذكر بأن هذه الآبار كانت هي آبار تجميعية لأمطار الشتاء حيث كانت تستخدم في فصل الصيف الحار والذي يندر فيه الحصول على الماء إلا من خلال البرك الملحقة بهذه القلاع،

ومن أجل ذلك تم إنشاء المزاريب التي تزود هذه الآبار أو البرك من خلال تجميع المياه من الأسطح العلوية لهذه القلاع.

الأدراج: (شكل:١٢ ، لوحة: ٦، ٨)

استخدمت الأدراج في هذه القلاع للانتقال من الطابق الأول إلى الطابق الثاني وكذلك إلى الممرات العليا، وقد استخدم في بناء هذه الأدراج أسلوبان الأول منها هو أن درجات هذه الأدراج تخرج أو تثبت في الجدار الملاصق على شكل ريش ويبدو ذلك واضحًا في قلعة ضبعة فقد كانت الدرجات تبنى بعدد من الحجارة أو أن تقام على دعامات أو تقام فوق العقود، وقد بلغ عرض الدرج (١م) وارتفاع الدرجة (٠.٢٥م) وعرضها (٠.٢٥م) ويبدو ذلك واضحاً بشكل كبير في الأدراج التي توجد في قلعة ضبعة وقلعة القطرانة وقلعة الحسا وكذلك قلعة المدورة حيث استخدمت في إقامة هذه الأدراج الحجارة البازلتية.

العقود: (لوحة: ٢، ١) (شكل:١٣)

لقد استخدمت أنواع متعددة من العقود أو الأقواس ابتداء من العقود البرميلية التي كانت تغطي الأيوانات أو بعض الصالات التي كانت تستخدم في صالات الطعام وغيرها من الاستخدامات وهذه الصالات أو القاعات كانت كبيرة المساحة ومستطيلة الشكل حيث نلاحظ ذلك جلياً في قلعة ضبعة في القاعات وفي قلعة القطرانة الطابق الأول أو الأرضي والطابق الثاني وكذلك قلعة الحسا في قاعات الطابق الاول و الطابق الثاني وفي قلعة عنيزة قاعات الطابق الأرضي. وتم استخدام العقود المدببة في قلعة القطرانة وقلعة ضبعة حيث استخدمت هذه العقود أو الأقواس في المداخل أو بعض الأبواب الداخلية داخل القلعة واستخدمت العقود المتقاطعة التي غطت بعض السقوف في قلعة القطرانة

وضبعة واستخدمت هذه العقود في البهو المؤدي إلى الفناء المكشوف، وكذلك استخدمت العقود المدببة في المداخل الرئيسية وقد أشرنا إلى ذلك سابقًا.

الشبابيك والنوافذ: (شكل: ٤)

استخدمت الشبابيك في العمارة الداخلية للقلاع العثمانية فقد وجدت النوافذ التي تطل على الصحن المكشوف وقد تنوعت هذه الشبابيك فيما بين الشبابيك التي اتخذت شكل النوافذ المستطيلة المؤطرة بعقود نصف دائرية أو على شكل أقواس نصف دائرية أو أن تكون على شكل مزاغل أو نوافذ صغيرة ومزدوجة وهي الغالب أصغر من النوافذ السابقة وأماكن تواجدها في أعلى الغرف.

الجدران:

لقد استخدم المعمار العديد من التقنيات في بناء الجدران ولكن أغلب الجدران قد بنيت بأسلوب الجدران المزدوجة وبينها حشوة من التراب والحجارة والحصا وفي زوايا الجدران استخدم أسلوب الجدران المزدوجة كحطة أولى أما الحطة الثانية حجر كبير متفرد وذلك لتدعيم وتقوية زوايا الجدران وقد استخدم في بناء هذه الجدران الحجارة الجيرية أو الحجارة الجيرية والبازلتية أو البازلتية خالصة، وقد غطيت هذه الجدران بالملاط من الداخل والخارج حتى تكون ملساء يصعب تسلقها.

المزاريب:

عبارة عن قنوات لتجميع مياه الأمطار. وجدت في أرضيات الطوابق العلوية وأرضيات الأبراج تفضي إلى الآبار الموجودة في الفناء المكشوف على شكل قنوات مغلقة

مربعة الشكل أطوالها مختلفة من قلعة إلى أخرى فتجدها مثلاً في قلعة ضبعة تبلغ (٠,١٥م) وفي قلعة القطرانة (٠,١٤م) وفي قلعة عنيزة والحسا (٠,١٢م).

مواد البناء:

ولما كان للعناصر المعمارية تأثيرًا كبيرًا في المواد المستخدمة للبناء نجد أنه لا بد من التعرض لهذه المواد حيث نجد أن المعمار استخدم المواد السهلة التكوين مثل المواد الجيرية والصعبة التكوين مثل الحجارة البازلتية.

وكذلك استخدم المعمار المواد الأولية الموجودة في بيئته فنجد أن معظم هذه القلاع استخدمت الحجارة الجيرية بشقيها الحجارة المشذبة أو الغشيمة وقد استخدم هذا النوع من الحجارة في بناء الجدران الخارجية والداخلية، ويلاحظ ذلك جليًا في قلعة ضبعة حيث نجد استخدامه في الواجهة الأمامية والأبواب والأدراج والسقاطات وفي قلعة القطرانة في الواجهة الغربية والشرقية والمدخل الرئيس والسقاطات، أما قلعة الحسا فنجد أن استخدامه كان واضحاً في الواجهة الأمامية، والجسر والأبواب، أما قلعة عنيزة فقد استخدم الحجارة الجيرية في واجهات البناء والجدران الداخلية للغرف.

الحجارة البازلتية:

فقد استخدمت بشكل أساسي في قلعة عنيزة والحسا حيث استخدمت هذه الحجارة في بناء الواجهات الرئيسة والسقوف والأرضيات.

وفي قلعة عنيزة والحسا استخدم هذا النوع من الحجارة على شكل دعامات وريش للسقوف. وكان معروفًا في منطقة بلاد الشام وخاصة في حوران وبعض المباني في صحراء بلاد الشام. وقد حاول المعمار إيجاد تجانس فيما بين القلاع والبيئة التي تحيط بها وذلك من

خلال استخدام الحجارة الموجودة في بيئتها حتى يشعر الناظر بأن كتلة البناء والبيئة المحيطة به وحدة متجانسة.

وكذلك استخدم البلاط الجيري بالإضافة لبعض الحجارة الصغيرة لتكسية الجدران الخارجية والداخلية. وكذلك تم استخدام مواد أخرى في البناء مثل المواد الحديدية في الأبواب الرئيسية، ومسامير تجميلية للأبواب الخارجية، وكذلك استخدام الحديد في صناعة الدرابزين، أما الأخشاب فقد استخدمت في عمل الأبواب الخارجية والداخلية.

السقوف: (لوحة: ١، ٢، ٣، ٤) (انظر الجدول رقم:٤)

استخدم المعمار العديد من التسقيفات، فاستخدموا السقوف المستوية التي تعتمد على الجسور أو القناطر الموازية لجدران الغرف أو القاعات. وهي تحمل العوارض الحجرية التي تحمل بدورها بلاطات السقف التي تكون عادة عمودية على الواجهة، وهذه التقنية كانت قد استخدمت في العمارة المحلية في بلاد الشام.[١١]

كذلك استخدموا السقوف المقباة، فاستخدموا الأقبية البرميلية والأقبية المتقاطعة. حيث استخدمت العقود البرميلية في تغطية الغرف والقاعات، وكذلك الأيوانات. أما العقود المتقاطعة فاستخدمت في كتلة المدخل كما هو واضح في قلعة القطرانة، وهذه التقنيات كانت معروفة في العمارة القديمة والتي كانت ولهذا لا يلحظ أي تطور فعلي على مثل هذا النوع من السقوف.

(١١) Peterson A. D. 1989, P.114-115.

جدول رقم (٤). أشكال الغرف وتسقيفها

القلعة	إيوان	عقد برميلي	سقف مستوي	سقف ذو دعائم حجرية	سقف ذو قناطر حجرية أو عقود
ضبعة	١	٤	٢	-	-
القطرانة	٥	١١	٢	٣	٣
الحسا	٤	٧	-	-	-
عنيزة	١	١٧	-	-	-
المدورة	١	١٤	٤	-	-

الخـــاتـمـــــة

إن المتتبع لبناء القلاع العثمانية في الأردن يجد أن هذه القلاع قد أقيمت على أنقاض قلاع قديمة سواء كانت تعود إلى فترات ما قبل الإسلام أو الإسلامية. استخدم المعمار العثماني فيها الأساليب والتقنيات التي كانت شائعة في المنطقة خاصة الفترة المملوكية فنجد أن تصميم القلاع العثمانية أتبع أسلوب العمارة الذي كان سائداً في العصر المملوكي حيث أن الفناء المكشوف أصبح أصغر مما كان عليه في السابق، وهي من مميزات العمارة المملوكية البرجية وقد وجدت العديد من الغرف والأيونات والقاعات أو المخازن أو الإسطبلات في الطابق الأول أما الطوابق العلوية فقد كانت غرف مخصصة للإقامة وهي تمتاز بوجود العديد من طلاقات السهام أو المزاغل أو السقاطات. والملاحظ أن هذه القلاع تفتقر إلى وجود الأبراج فيما عدا ما وجد في قلعة ضبعة وربما يعد سبب ذلك على اعتبار أن هذه القلاع كانت تستخدم كأبراج مراقبة وحراسة طريق الحج الشامي أو الخط الحديدي الحجازي وكذلك لحماية مصادر المياه (البرك).

وقد استخدم المعمار الأساليب التقنية المعمارية التي كانت معروفة في المنطقة فنجد مثلاً (التسقيفات) التي كانت معروفة في منطقة حوران وشمال الأردن. وكذلك تقنيات (بناء الجدران المزدوجة) المعروفة في العمارة النبطية والرومانية والبيزنطية والإسلامية وكذلك استخدام العقود والأقبية، فكانت لهذه العناصر وظيفة إنشائية لتخفيف الضغط عن السقوف وتوزيع الضغط على الجدران السميكة أو وظيفة تضفي مسحة جمالية على البناء وذلك في الواجهات الخارجية والداخلية لكسر الرتابة والجمود.(١٢)

وقد حرص المعمار على استخدام مواد البناء المتوفرة في بيئة هذه القلاع، ولهذا نجد أنه قد استخدموا الحجارة الجيرية والبازلتية والصوانية لإيجاد تجانساً تاماً فيما بين البناء والبيئة المحيطة به.

ومن هنا نجد أن المعمار العثماني اعتمد على التقنيات المعمارية والموروث المعماري الذي كان قائماً في هذه المنطقة وخاصة العصر المملوكي الذي ترك العديد من الآثار التي ما زالت آثارها واضحة للعيان.

(١٢) فيلنوف، فرانسو: الإقتصاد الدين والحياة الريفية في حوران القديمة (من القرن الأول قبل الميلاد وحتى القرن السابع بعد الميلاد في سورية الجنوبية (حوران)، تعريب أحمد عبدالكريم، ميشيل، عيسى، سالم، العيسى، مطبعة الأهالي، دمشق، ١٩٨٨م، ص ١٤٠.

لوحة رقم (١). قلعة القطرانة منظر يمثل العقود الداخلية

لوحة رقم (٢). قلعة القطرانة منظر يمثل العقود البرميلية

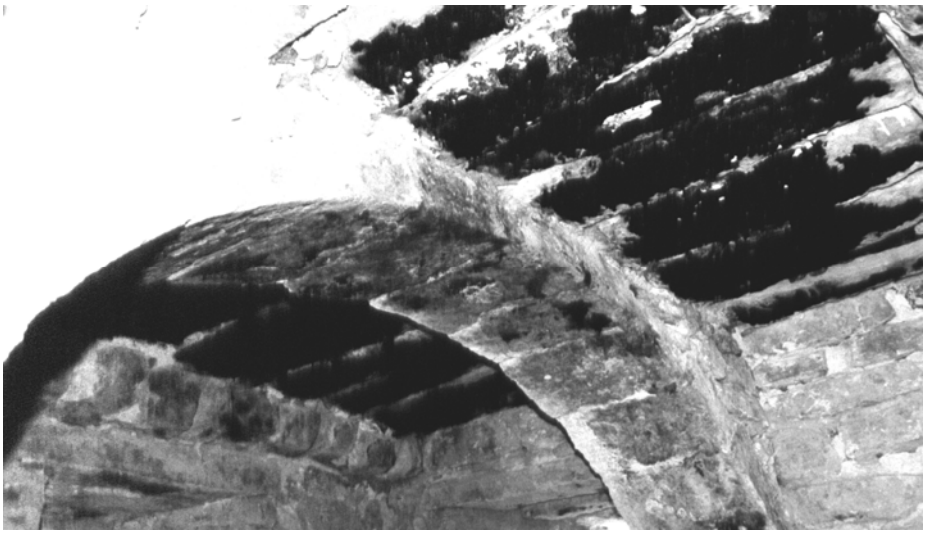

لوحة رقم (٣). قلعة القطرانة منظر يمثل إستخدام القناطر الحجرية في الشقيفات

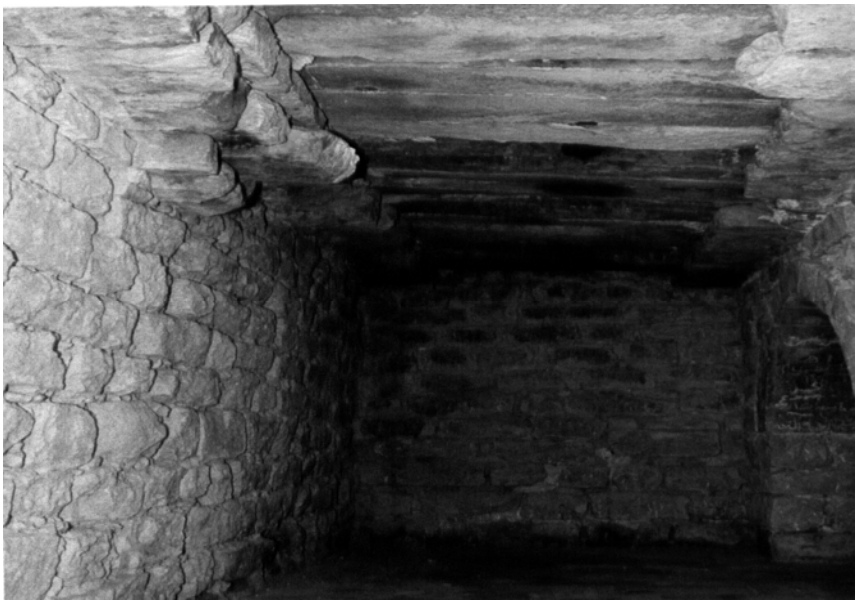

لوحة رقم (٤). قلعة القطرانة – الممر – منظر يمثل الشقيفات الحجرية

لوحة رقم (٥). قلعة القطرانة (الفناء الداخلي)

لوحة ٦ قلعة الحسا ٠ (الفناء الداخلي)

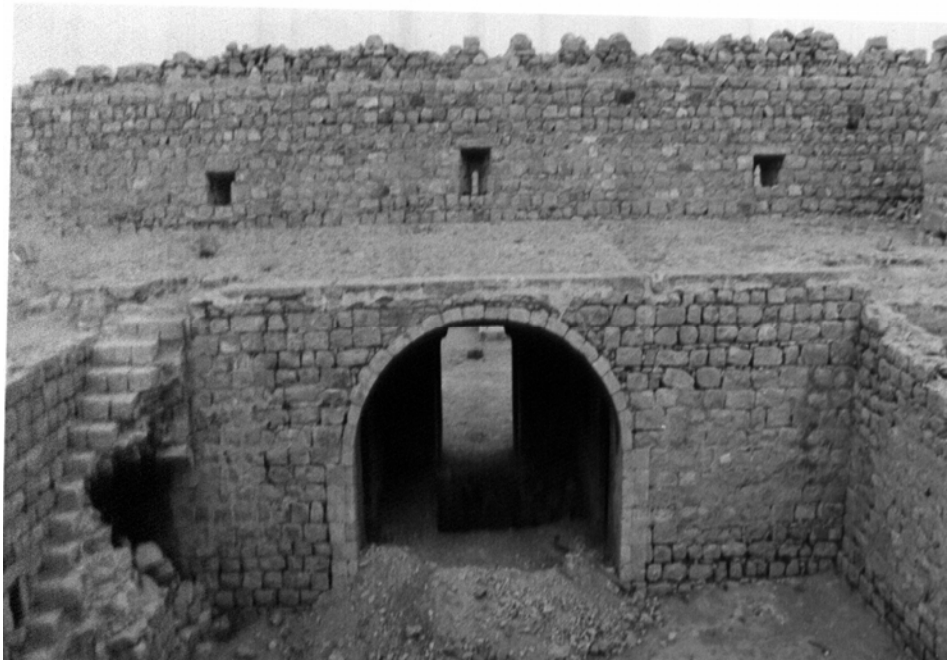

لوحة رقم ٧ قلعة ضبعة (الفناء الداخلي).

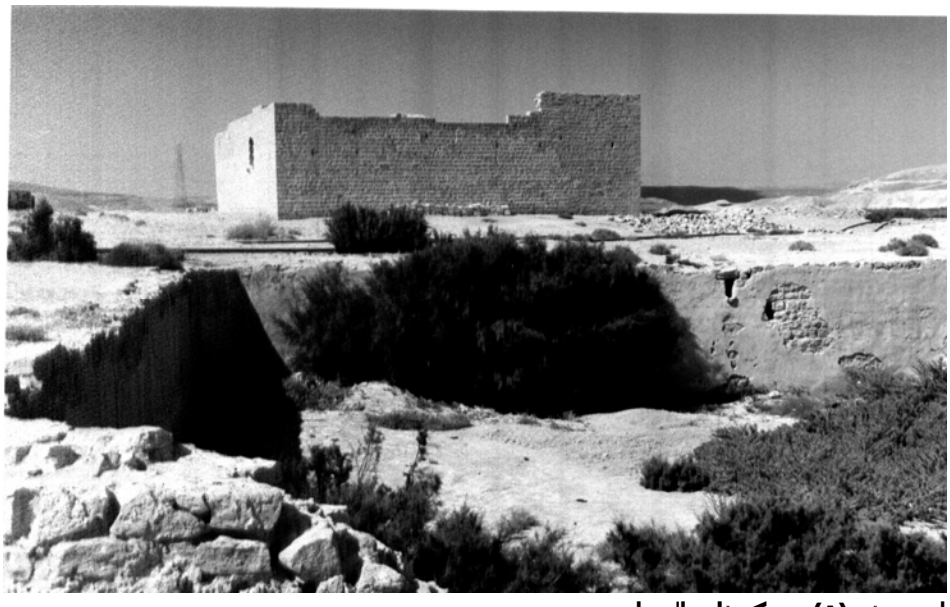

لوحة رقم (٨). بركة قلعة الحسا.

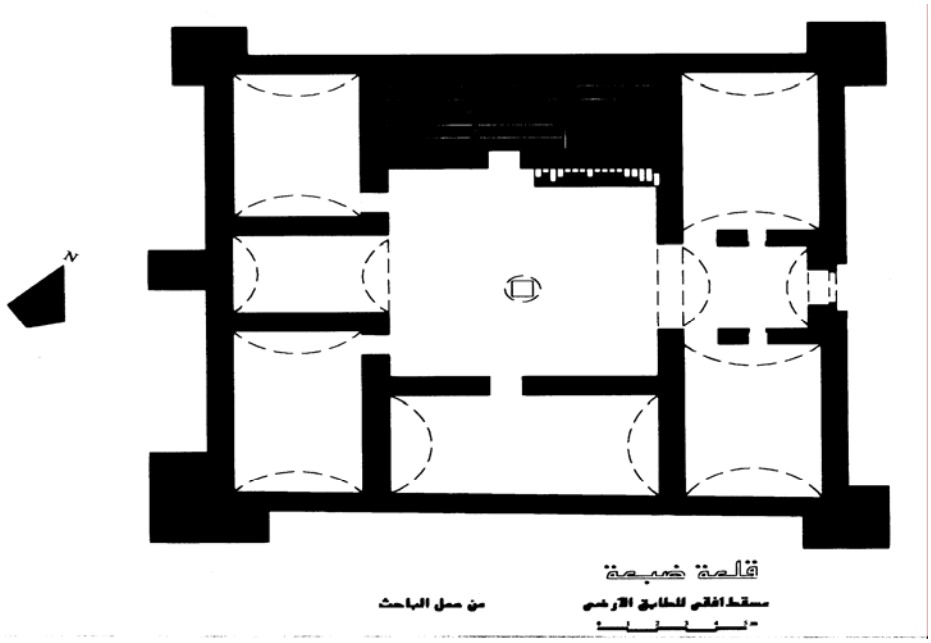

شكل رقم (١).

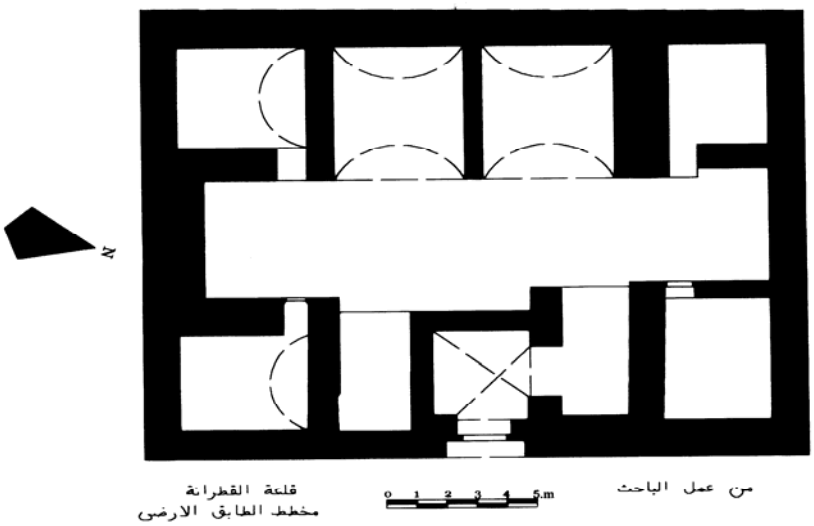

شكل رقم (٢ أ).

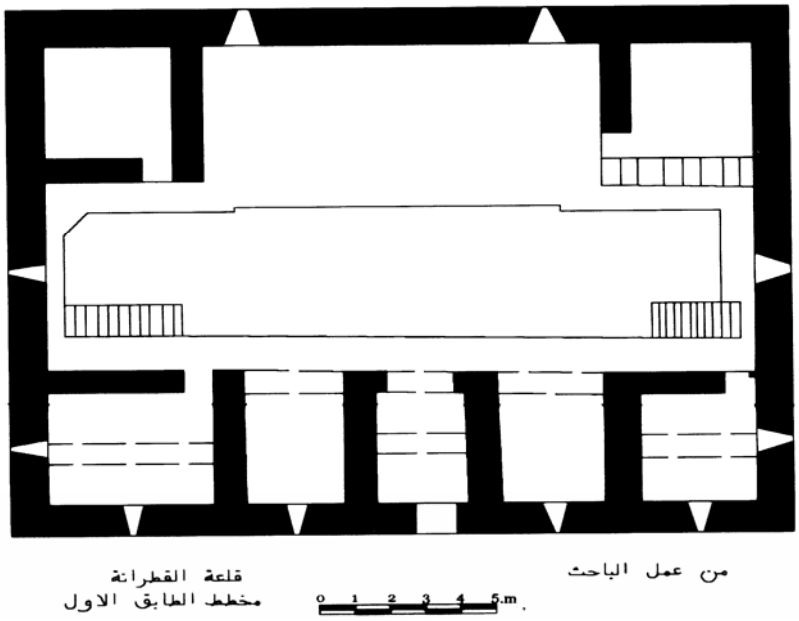

شكل رقم (٢ ب).

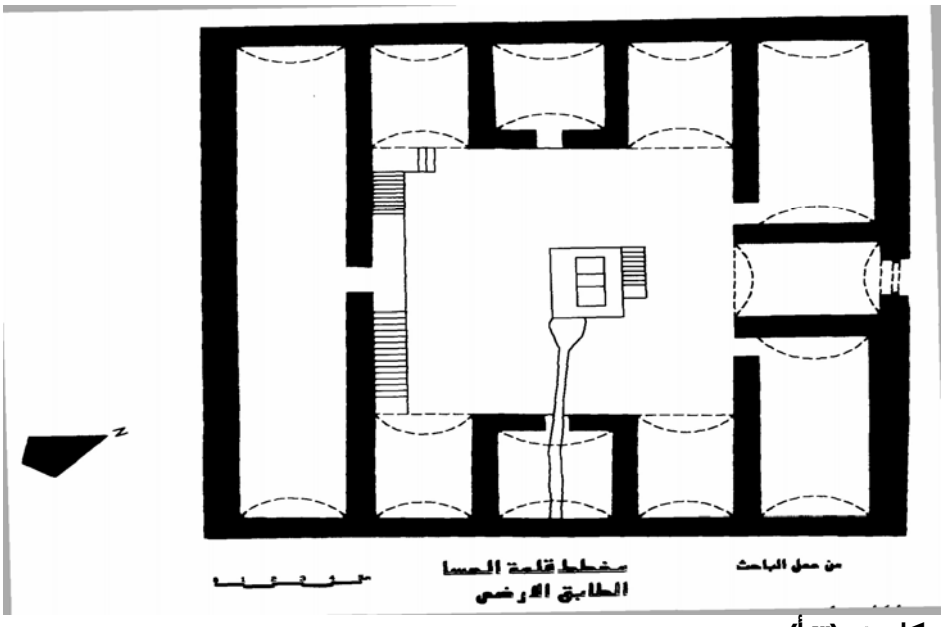

شكل رقم (٣ أ).

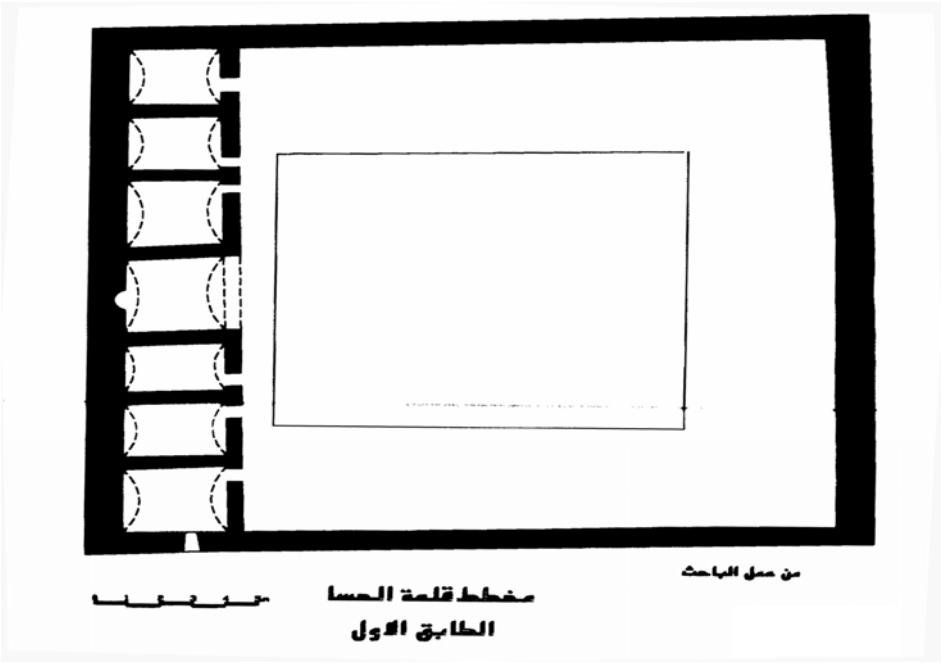

شكل رقم (٣ب).

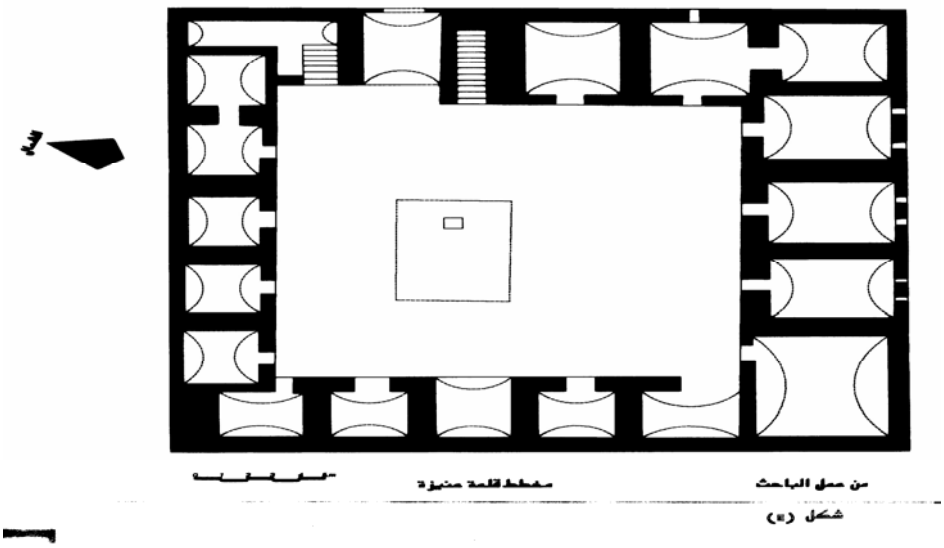

شكل رقم (٤).

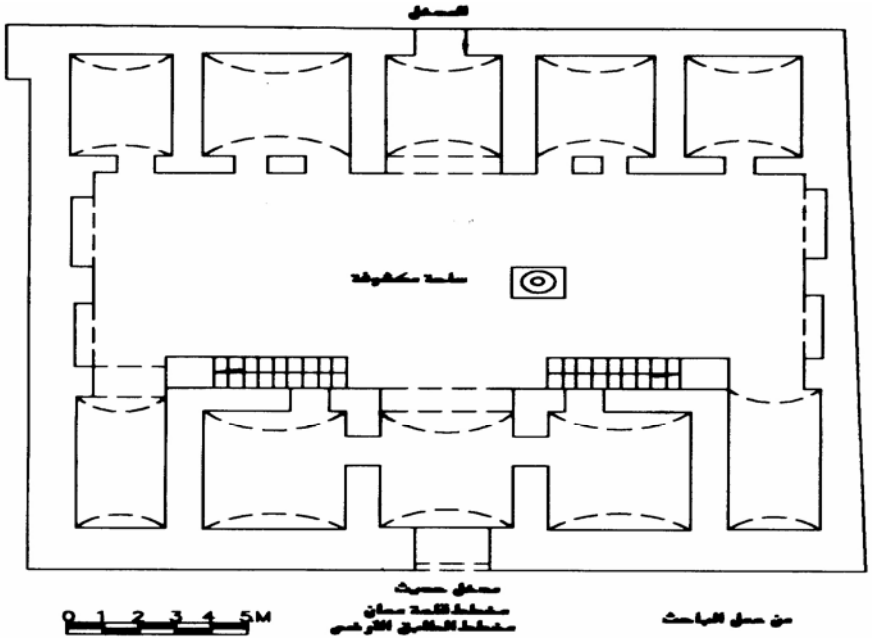

شكل (٥أ).

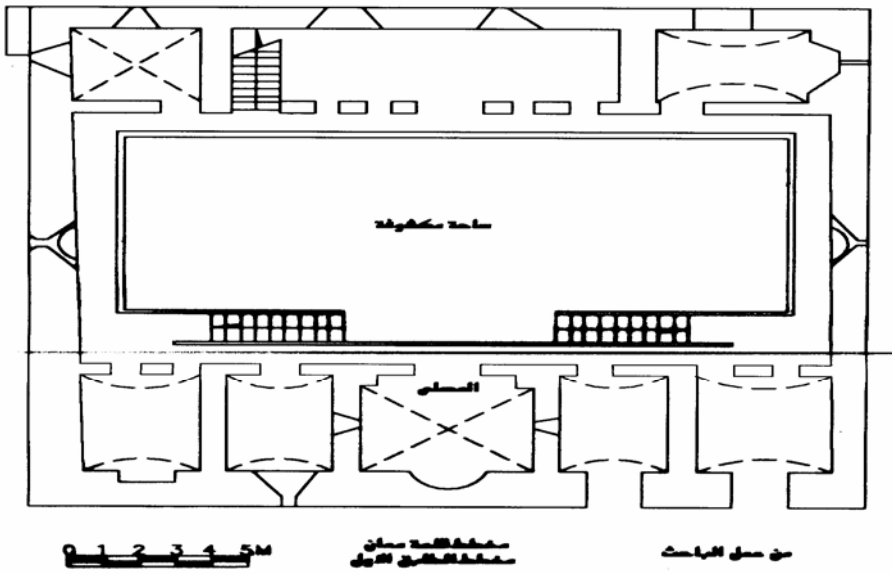

شكل رقم (٥ب).

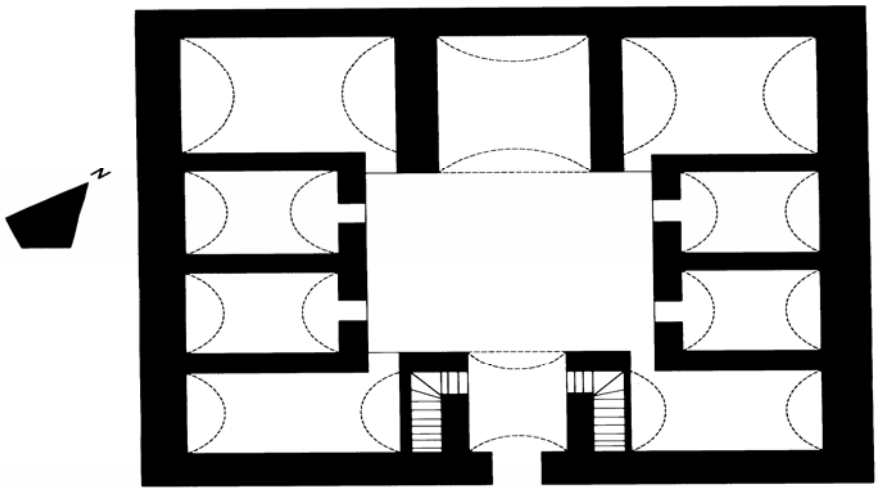

شكل رقم (٦).

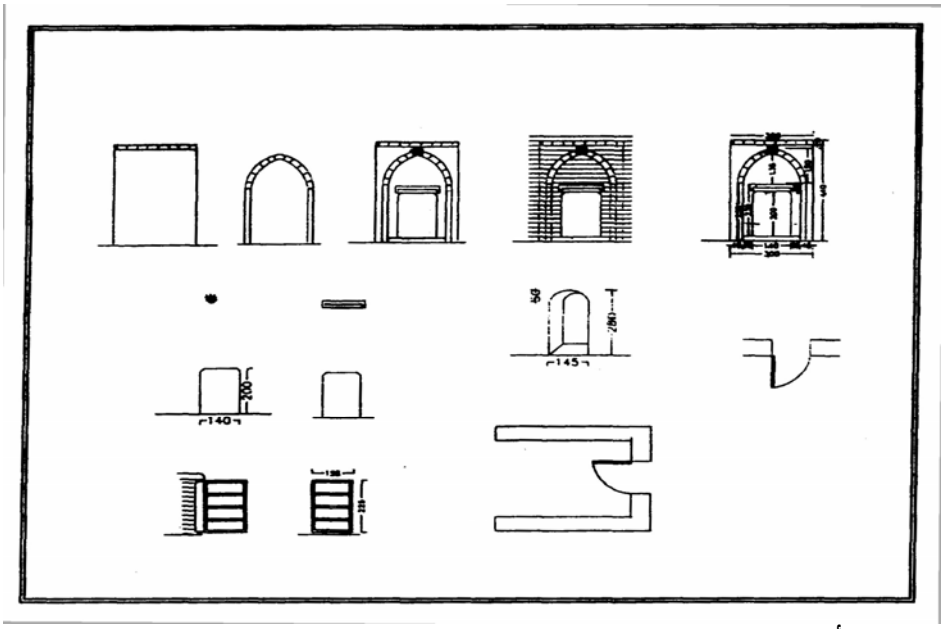

شكل (٧أ). المدخل الرئيسي لقلعة ضبعة وعناصره المكونة له.

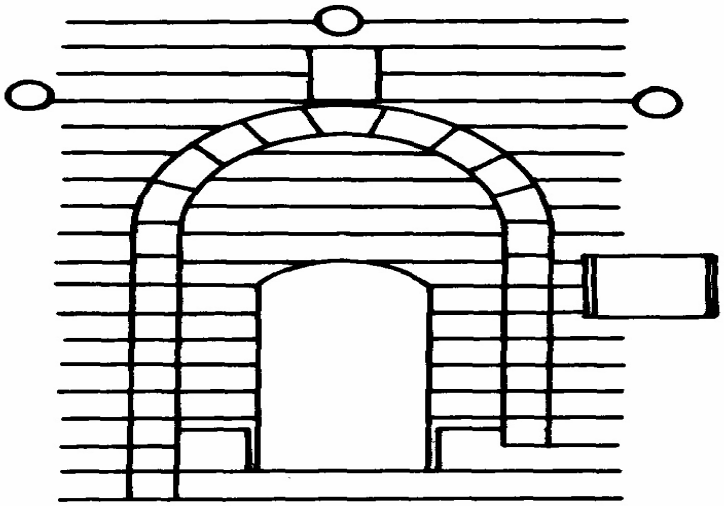

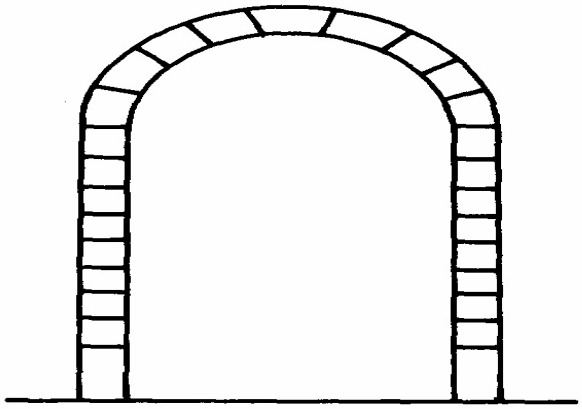

شكل (٧ب). مدخل قلعة المطرانة

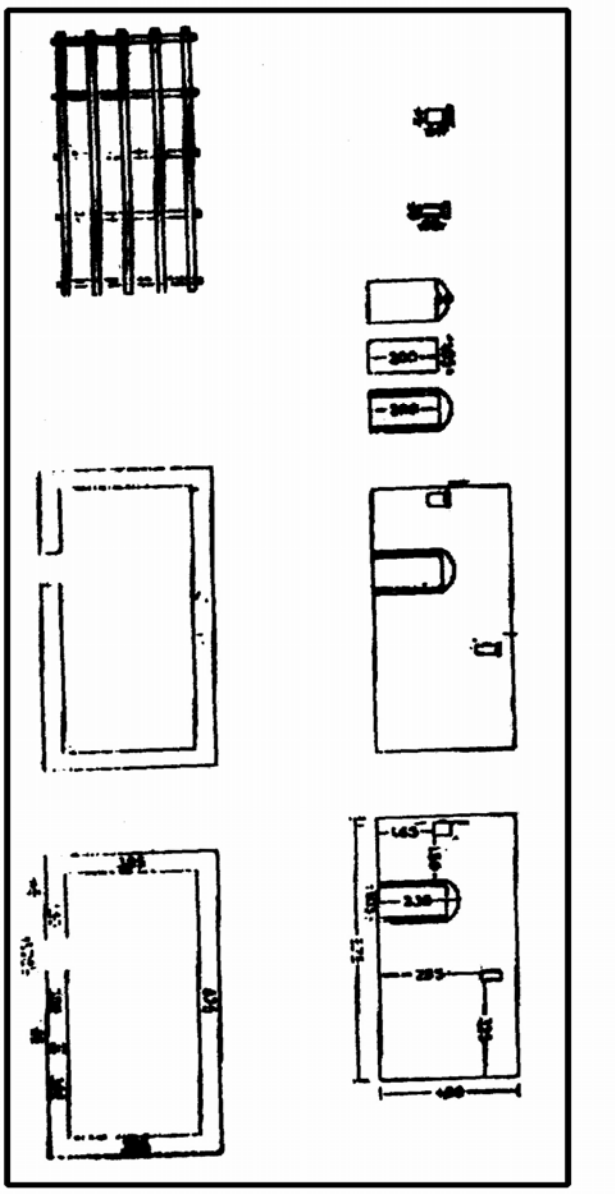

شكل رقم (٨). مخططات تمثل بعض أشكال الغرف والأبواب والنوافذ.

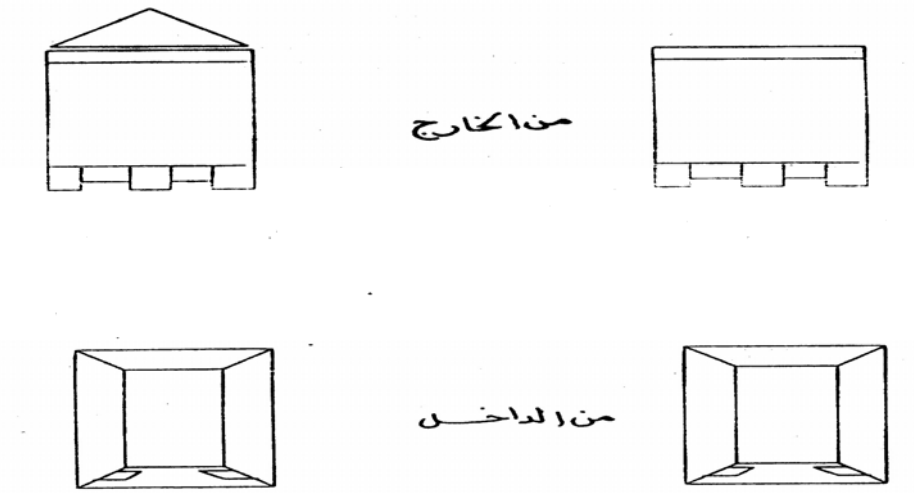

شكل رقم (٩). يمثل السقاطات والفلاع.

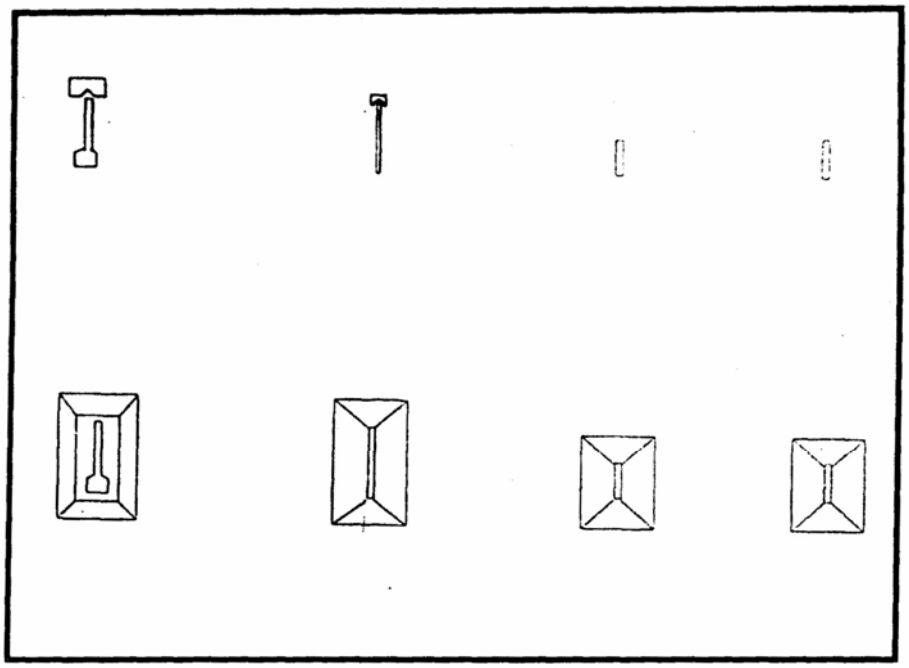

شكل رقم (١٠). أشكال المزاغل والفتحات.

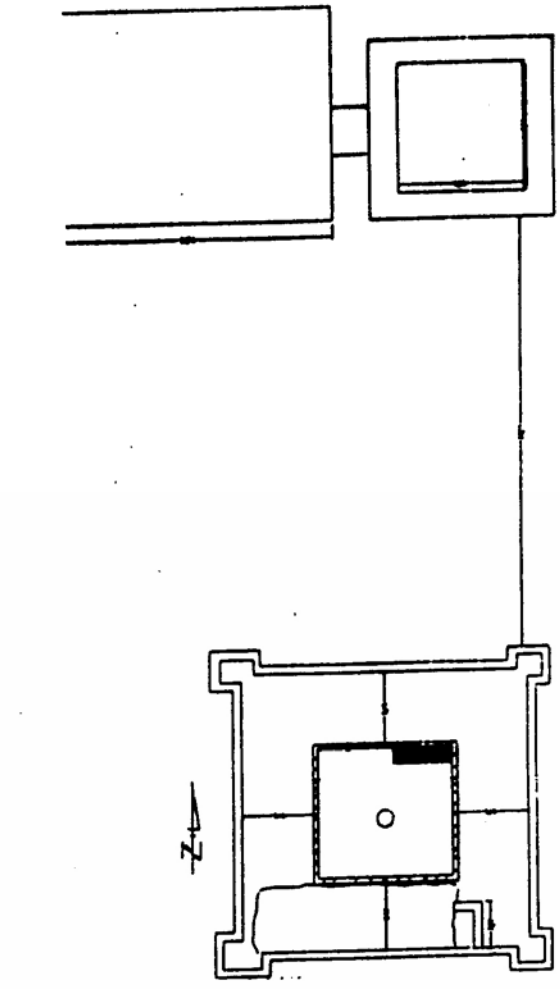

شكل رقم (١١). مخطط قلعة ضبعة والبرك المجاورة له مقياس الرسم ١:١٠٠.

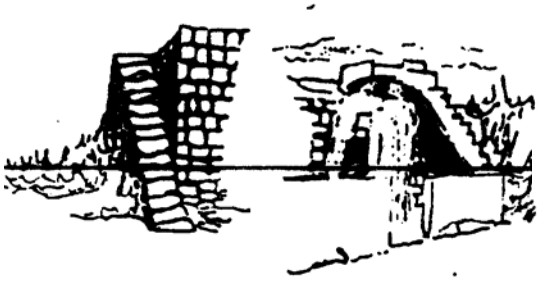

شكل رقم (١٢). منظر يمثل أنماط الأدراج

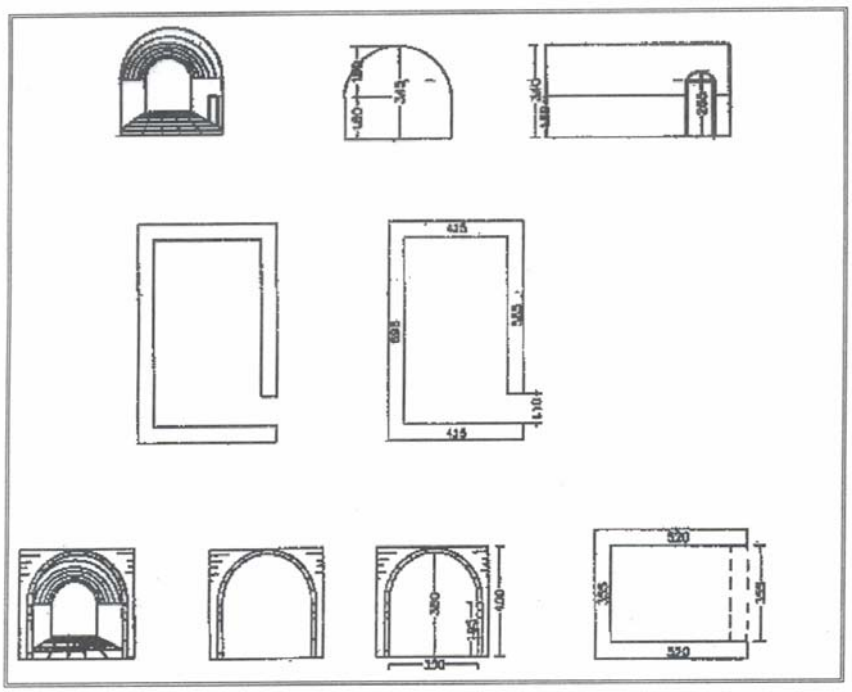

شكل رقم (١٣). الغرف ذات السقف نصف البرميلي في الفلاع
مقاييس الرسم ١:١٠٠.
نقلاً عن سلام عبيدات.

Architectural elements of the most important Ottoman castles in Jordan

Wael Munir Rashdan
Associate professor, Department of Archaeology and Museology
College of Arts
King Saud University

Abstract. The Ottmans showed a great interest in building castles along the Hejaz railway to facilitate the piligrmage road and protect it. These castles played other roles, such as watching the beduin tribes living in the area and guarding the Hijaz railway.

In this paper, we have studied the common architecture elements among these castles, like architectural planning, and the most important elements used and their development. It is observed that the civil and military architectural elements appeared harmonious with each other in the construction of the Ottoman castles.